

تفسير ابن كثير

قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : إن المشركين قالوا :
عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به
من أجل أنهم أهل وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين { قد
كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامرا تهجرون } يعني
أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال { به سامرا } كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي
صلى الله عليه وسلم فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة
المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به وإن كانوا
يعمرون بيته ويحرمون به قال الله تعالى : { لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين }
يعني الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسامهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : قد نزلت في العباس بن عبد
المطلب حين أسر بدير قال : لئن كنتم سبقتُمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر
المسجد الحرام ونسقي ونفك العاني قال الله D : { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم
الظالمين } يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك بن
مزاحم : أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال
العباس : أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحج البيت ونسقي الحاج
فأنزل الله { أجعلتم سقاية الحاج } الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل عن الشعبي : قال : نزلت في علي
والعباس هما B بما تكلموا في ذلك وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن
لهيعة عن أبي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد
الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه
ولو أشاء بت فيه وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد
فقال علي B : ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب
الجهاد فأنزل الله D { أجعلتم سقاية الحاج ؟ } الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال :
افتخر علي والعباس وشيبه بن عثمان وذكر نحوه وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن عمرو عن
الحسن قال : نزلت في علي وعباس وعثمان وشيبه تكلموا في ذلك فقال العباس : ما أراني إلا

أنني تارك سقائتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أقيموا على سقائكم فإن لكم فيها خيرا] ورواه محمد بن ثور : عن معمر عن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير هـ أن رجلا قال : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر هـ وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه فنزلت { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون } .

(طريق أخرى) قال الوليد بن مسلم حدثني معاوية بن سلام عن جده أبي سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب هـ وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فأنزل الله D { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين } ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه